العرب
الجمعة 2021/10/22
السنة 44 العدد 12217

الحوثية.. نهايات وشيكة!

صالح البيضاني
صحافي يمني

في حديث مع مجموعة من الأصدقاء حول سبب فشل التيارات الإسلامية في إدارة الدولة، كانت وجهة نظري أن هذه الجماعات مصممة لمعارضة الدول، حيث تمت تنشئة أتباعها على ثقافة الرفض لمفهوم وشكل الدول القائمة ومناهضتها والنيل من مؤسساتها، لذلك عندما وجدت تلك الجماعات نفسها فجأة ودون مقدمات على كراسي السلطة، لم تستطع أن تتقبل الواقع الجديد أو تتعاطى معه بذهنية مختلفة عن تلك التي تم تكريسها في عقول أتباعها.

ولا يقتصر الأمر على التيارات الإسلامية ذات المرجعية السنية مثل الإخوان المسلمين بل كل الجماعات الأيديولوجية، بما في ذلك النظام الإسلامي الشيعي بنسخته الخمينية الذي شاهدنا ملامح فشله الذريع في إدارة الدولة في إيران والعراق وبعد ذلك اليمن على أيدي الجماعة الحوثية التي سيطرت على الدولة بعد انقلابها المسلح في سبتمبر 2014 واجتياحها العاصمة صنعاء تحت حجج ومبررات مطلبية ذات شقين سياسي واقتصادي؛ الأول تمثل في المطالبة بإقالة الحكومة وتنفيذ مخرجات مؤتمر الحوار الوطني والآخر بإسقاط ما عرف بالجرعة السعرية التي تم فرضها آنذاك على المشتقات النفطية لدواع اقتصادية.

مثل هذه الجماعات لا تأتي إلى السلطة إلا عبر موجات العنف وعلى وقع انهيار الدولة ولا تزدهر إلا في ظل الصراعات والحروب وما يرافق ذلك من تأجيج ديني ومذهبي وشعارات شعبوية

قدم الحوثيون بعد استيلائهم على الدولة صورة مغايرة تماما لتلك التي حاولوا تصوير أنفسهم بها، الأمر الذي تحول في الشارع اليمني إلى مثار للسخرية والتندر، فقد تضاعفت أسعار المشتقات النفطية أكثر من عشرة أضعاف بعد أن أقاموا الأسواق السوداء، كما فرضوا جبايات من كل شكل ولون بالتوازي مع التوقف عن صرف الرواتب، فعمقوا حالة الفقر والفاقة في مناطق سيطرتهم وزادوا الفقراء فقرا.

ومثل هذه الجماعات لا تأتي إلى السلطة إلا عبر موجات العنف وعلى وقع انهيار الدولة، كما أنها لا تزدهر إلا في ظل الصراعات والحروب، وما يرافق ذلك من تأجيج ديني ومذهبي وشعارات شعبوية، وهو واقع الحال في اليمن اليوم، حيث يبرر الحوثيون كل صور فشلهم بالحرب التي أشعلوها بادئ الأمر ويطلقون عليها "عدوانا"، وهي الحجج الواهية التي لم تعد مقبولة حتى على مستوى الشارع اليمني المثخن بسياسة التجويع والتركيع والقمع.

ومن يلاحظ طريقة تعاطي الجماعة الحوثية مع كل دعوات السلام وإيقاف الحرب، بما فيها تلك التي تتضمن استجابة لكثير من مطالب الحوثيين، يدرك تماما أن تلك الجماعة التي لا تؤمن بالسلام، لا تريده كذلك، فمع طول فترة الحرب وتحت ظلال البنادق المشرعة يتمكن الحوثيون من تحقيق الكثير من أهدافهم الأيديولوجية وتجييش المجتمع على طريقة "الثورة الإسلامية في إيران" أو حزب الله اللبناني، والحشد الشعبي في العراق، وكلها فروع لذات الشجرة الشوكية التي زرعها الخميني وتم تعهدها بعد ذلك بالدماء والدموع التي تسقي جذورها ومن دون تلك الدماء والدموع تذبل أغصانها وتتساقط فروعها لا ريب، وهو ما لا يريده هذا المحور الذي يسمي نفسه "محور المقاومة" وهو فعليا لا يقاوم رغبات الشعوب في التحرر من نظرية المؤامرة وأوهام التمكين.

وعلى رغم ما تظهر كحالة نشوة ونصر تمر بها الجماعة الحوثية ومثيلاتها في المنطقة، لا يبدو أن هذا المشروع لديه ما يكفي من مقومات الاستمرار، بالنظر إلى كونه مشروعا يتناقض مع الحياة تماما ويعطل كل قدرات الشعوب وإمكانيات الدول لصالح أوهام أيديولوجية، تتنافى مع منطق العقل ومع مصالح الشعوب، ويكفي إلقاء نظرة على حالة الغليان الشعبي والرفض المتزايد تجاه تلك النماذج في طهران وبغداد وبيروت وصنعاء للتيقن بأن بذور فناء هذه الجماعات والتيارات بداخلها وأن سياسة القهر والغلبة والعنف الأيديولوجي والشعارات المخادعة التي تمارسها لإسكات المعارضين لها مجرد حالة طارئة لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية كما تقول بديهيات التاريخ والسياسة.

ومن يقرأ تاريخ الدول الإمامية المتعاقبة في اليمن على سبيل المثال، يجد تلك الدول نشأت في الأساس على أنقاض دول هشة واستفادت من حالات الصراع الداخلي المجتمعي والسياسي، وترعرعت ونمت في ظل الصراعات والحروب ولكنها سرعان ما تفككت وانهارت مع انتفاء كل مبررات الحروب والصراعات التي خاضتها، وهو السيناريو الذي أعتقد أنه في طريقه ليتكرر مرة أخرى بعد أن يستنفد الحوثيون كل مبرراتهم في استمرار الحرب التي حولوها إلى "مظلومية" وحائط مبكى كبير، رغم أنهم من أشعل نار الحرب في البدء، ثم أججوها بممارساتهم السلالية والطائفية وسياساتهم الإقصائية والتجويعية ومحاولتهم فرض رؤيتهم وأيديولوجيتهم على كافة جغرافيا اليمن السياسية والثقافية والمذهبية والجهوية، وهي مغامرة ليست الأولى فقد فعل أسلافهم مثل ذلك في مرات سابقة وعبر دويلات محكومة بذهنية العنف لكنها سرعان ما سقطت مخفورة بلعنات التاريخ وأنّات المظلومين.

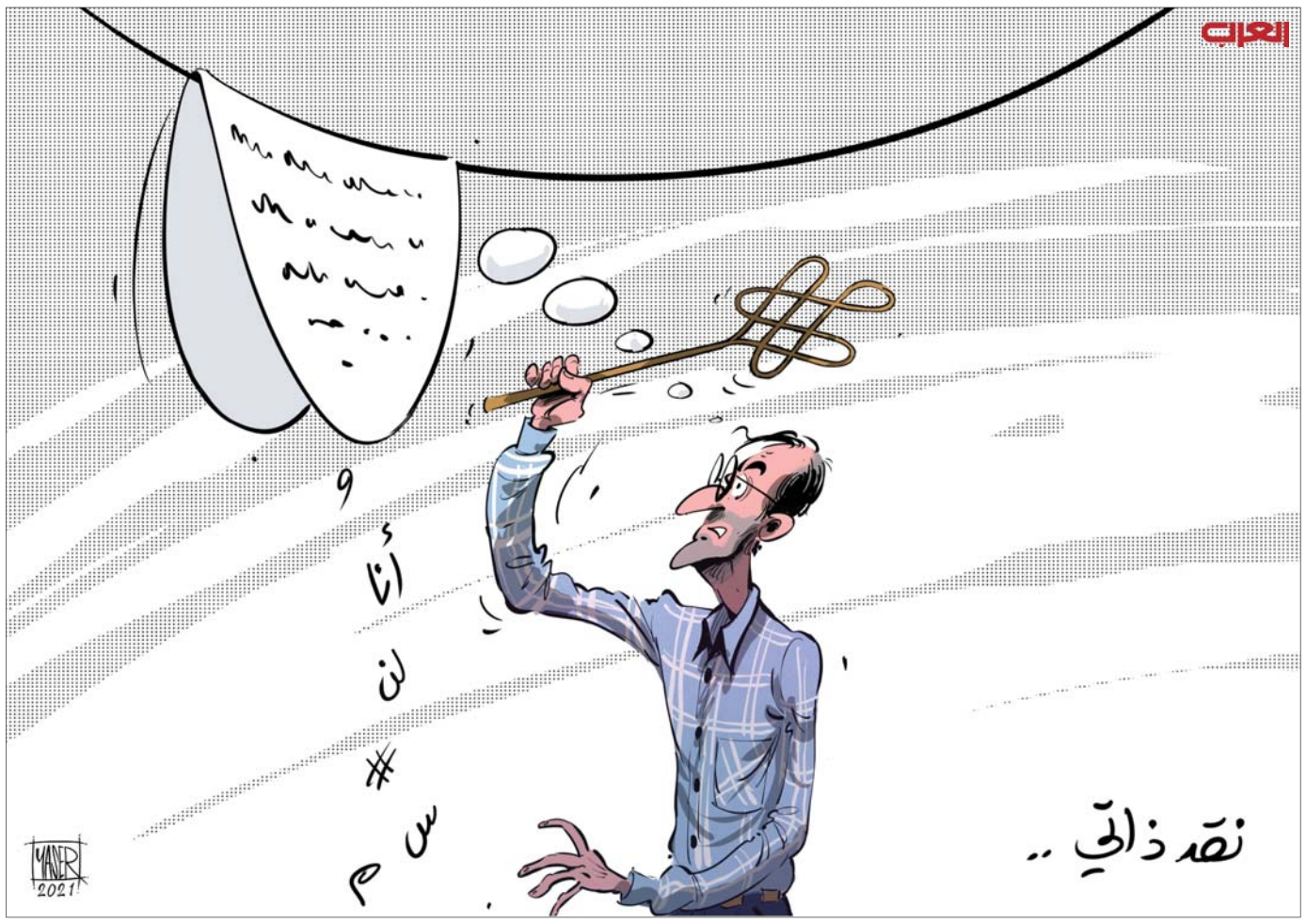

كولن باول.. العسكري الناجح والسياسي الفاشل

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

توفّي قبل أيّام الجنرال كولن باول وزير الخارجية الأميركية طوال الولاية الأولى لجورج بوش الابن. شهدت تلك الولاية شن الحملة العسكرية الواسعة على العراق من أجل إسقاط نظام صدّام حسين.. قبل ثمانية عشر عاما.

لولا العراق، لكان كولن باول نزل في كتب التاريخ بصفة كونه أوّل أسود يشغل موقع مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض، في عهد رونالد ريغان، ثمّ أوّل رئيس للأركان ثمّ أوّل وزير للخارجيّة من هذا العرق.

مهّد صعود نجم كولن باول في مرحلة معيّنة إلى طرح إمكان وصوله إلى البيت الأبيض بدل باراك أوباما. لولا العراق، بقي كولن مجرّد قصة نجاح لرجل أسود من أصول جامايكية استطاع، بفضل المؤسسة العسكريّة الأميركيّة، الترقي اجتماعيا ودخول الجامعة.

امتلك كولن باول تجربة عسكريّة واسعة جعلته في غاية الحذر تجاه أيّ تدخّل عسكري أميركي في أيّ منطقة من العالم. خدم في فيتنام حيث أبلى بلاء حسنا وأنقذ ثلاثة من رفاقه العسكريين من الموت بعد سقوط طائرة هليكوبتر كانوا فيها. لكنّ خدمته كعسكري في عهد جورج بوش الأب وكسياسي في عهد جورج بوش الابن تعطي فكرة عن موقع الرجل بين الشخصيات الأميركية التي تحدّث عنها العالم طويلا في تسعينات القرن الماضي وفي مرحلة ما بعد "غزوتي نيويورك وواشنطن" اللتين كان وراءهما الإرهابي أسامة بن لادن وتنظيم "القاعدة" في الحادي عشر من أيلول – سبتمبر 2001.

إذا كانت تجربة كولن باول تدلّ على شيء فهي تدلّ على العقل السياسي الذي كان ينقص الرجل. عندما توفّر هذا العقل السياسي الذي يقوده، استطاع أن يكون قائدا عسكريا ناجحا في خدمة السياسة الأميركية. في غياب العقل السياسي الذي يعرف المنطقة جيدا، كان كولن باول مجرّد لاعب ثانوي في إدارة بوش الابن التي تحكّم بها المحافظون الجدد. على رأس هؤلاء ديك تشيني ودونالد رامسفيلد.. وأمثال بول ولفويتز، نائب وزير الدفاع. كان ولفويتز أوّل الداعين إلى الردّ على إرهاب "القاعدة".. في العراق. سارع كولن باول إلى التصدي له ولكن من دون نتيجة!

بعد جريمة اجتياح الكويت في الثاني من آب – أغسطس 1990، اتخذت إدارة بوش الأب قرارا برفض الأمر الواقع الذي حاول صدّام حسين فرضه. تولّى الجيش الأميركي بقيادة كولن باول تنفيذ المهمّة. لم تمض ستّة أشهر، إلّا والكويت محرّرة. الأهمّ من ذلك كلّه، أنّه كان في واشنطن من يعرف المنطقة. كان هناك الثلاثي الذي يضمّ جورج بوش الأب ووزير الخارجيّة جيمس بيكر ومستشار الأمن القومي برنت سكاوكروفت.

أدرك الثلاثة معنى الذهاب إلى بغداد في ضوء إخراج الجيش العراقي من الكويت. كانت طريق بغداد سالكة، لكنّ العقل السياسي الذي كان يتحكّم بالقرار في واشنطن أدرك على وجه السرعة أنّ الذهاب إلى بغداد يعني تسليم العراق إلى إيران. عرف هذا العقل السياسي النتائج التي ستترتب على ذلك في وقت كانت إيران مستعدة لجني كلّ الفوائد الناجمة عن المغامرة المجنونة لصدّام حسين في الكويت.

نفّذ كولن باول، العسكري الفذّ، المهمّة المطلوبة. كان جزءا من فريق يعرف الشرق الأوسط والنتائج المترتبة، والتي يمكن أن تترتّب، على إزالة دولة عربيّة مثل الكويت من الوجود. كان يؤمن باستخدام القوّة العسكريّة الأميركيّة بشكل ساحق خارج الولايات المتحدة. كان يؤمن، في الوقت ذاته، بضرورة الانسحاب السريع متى نفّذ الجيش الأميركي مهمّته.

لم يكن كولن باول، بعدما تحوّل سياسيا، في مستوى القائد العسكري الذي حقّق نجاحات كبيرة في التصدي للعراق في الكويت وفي أماكن أخرى. تبيّن في عهد بوش الابن الذي خلا من العقل السياسي، أنّ النجاح لدى العسكري لا يعني بالضرورة نجاحه كسياسي. سقط كولن باول في امتحان العراق وذلك في ضوء قرار بوش الابن والمحيطين به شنّ حملة عسكريّة لإزاحة صدّام حسين. كان مهمّا التخلّص من صدّام حسين، الذي ارتكب كلّ الأخطاء التي يمكن ارتكابها منذ فرض نفسه رئيسا صيف العام 1979، لكنّ الأهم من ذلك كلّه كان معرفة ما العمل في مرحلة ما بعد سقوط النظام.

في غياب العقل السياسي الذي يعرف المنطقة جيدا كان كولن باول مجرّد لاعب ثانوي في إدارة بوش الابن التي تحكّم بها المحافظون الجدد وعلى رأس هؤلاء ديك تشيني ودونالد رامسفيلد

تكمن مشكلة كولن باول في أنّه لم يلعب الدور الذي كان مفترضا به لعبه كوزير للخارجيّة. توقف عند التصدي لولفويتز في الاجتماع الذي عقدته القيادة الأميركية في كامب ديفيد مباشرة بعد "غزوتي نيويورك وواشنطن". اكتفى بأن أكّد لنائب وزير الدفاع، وقتذاك، أن لا علاقة لنظام صدّام حسين بـ"القاعدة" وأن لا رابط بين النظام وأحداث الحادي عشر من سبتمبر. لم تمض أسابيع إلّا وسار كولن باول في الخط الذي كان مطلوبا منه السير فيه. بدل الاستقالة والإعلان عن موقف واضح، قبل الذهاب إلى الأمم المتحدة لتأكيد امتلاك العراق أسلحة بيولوجيّة وكيمياوية وذلك تمهيدا لعمل عسكري كبير في العراق. كانت تلك كذبة كبيرة. ما لبث كولن باول أن تلا فعل الندامة لاحقا.. ولكن بعد فوات الأوان. اعتبر أنّ ما قام به كان "لطخة" في حياته. ولكن ما نفع الندم بعد تسليم العراق على صحن من فضة إلى إيران؟

تختزل سيرة كولن باول حياة عسكري ناجح في مهنته تحوّل إلى سياسي فاشل. يعود ذلك بكل بساطة إلى أن من الصعب، إلّا في حالات نادرة، نجاح العسكري في السياسة. لا يمكن العثور على شخص مثل الجنرال ديغول أو دوايت أيزنهاور كلّ يوم. الرجلان عملة نادرة مثل فؤاد شهاب في لبنان الذي اختلف عن غيره من العسكريين الذين وصلوا إلى موقع رئيس الجمهوريّة بأنّه كان صاحب رؤية.

مأساة لبنان حاليا في أن رئيس الجمهوريّة ميشال عون يمثّل أسوأ ما في العسكر وأسوأ ما في السياسة. هو عسكري، في حين عليه أن يكون سياسيا.. وكان سياسيّا عندما كان مفترضا به أن يكون عسكريّا.

امتلك كولن باول بعض الشجاعة للقيام بعملية نقد للذات ومراجعة لتجربته. عرف متأخّرا أنّه ذهب ضحيّة غياب العقل السياسي في واشنطن في عهد بوش الابن وأنّه كان عليه أن ينتفض في حينه. لكنّه لم يفعل!